وصعود الى بيت المقدس وقال انهُ لما صار في بعض الطريق رأى رجلاً لابساً ثياباً بيضاً وبيدهِ سيف يلمع مثل البرق فخاطب نفسهُ الاسكندر وعلم انهُ ملاك مرسل من الله عزَّ وجلَّ فسقط على سريرهِ وسجد وقال يا سيدي لماذا اقتل عبدك فقال لهُ لانك تريد ان تمضي الى المقدس لتهلك كهنة الله وامتهُ . فقال لهُ الاسكندر يا سيدي اغفر لعبدك فقد اخطأت وان كنتَ لا تشاء ان اسير في طريقي هذه فانا اعود الى بلادي. فقال لهُ الملاك اذ قد اعترفتَ وتنصلت من جريمتك فقد صفحتُ عنك فامضِ في طريقك واذا وصلت الى بيت المقدس ورأيت رجلاً لابساً ثياباً بيضاً كنظري وصورتي فانزل عن دابتك وخرَّ لهُ ساجداً وافعل جميع ما يأمرك بهِ ولا تخالفهُ فان انت خالفتهُ هلكت ". واتمَّ الكاتب القصَّة على نحو ما ذكرها ابن خلدون. والظاهر ان ابن خلدون نقل عن هذا المؤلف لا عن يوسيفوس نفسهِ. وبمثل هذا الخبط والايجاز كتب مؤرخو العرب تاريخ اعظم ملك من ملوك الارض

ادراك الحيوان الاعجم

كتب القس اغرتن بنغ مقالة في هذا الموضوع في مجلة العلم العام الاميركية ذكر فيها من نوادر الكلاب ما يقضي بالتعجب العجاب ويدلُّ على ان بعضها يفوق البعض الآخر في قوة الادراك والاستدلال حتى يقارب الانسان . قال انهُ اقام في البلاد التي على خليج هدسن شمالي اميركا الشماليَّة حيث يشتدُّ البرد والزمهرير وتجلد المياه اكثر شهور السنة واضطر ان يقتني كثيراً من الكلاب لان الناس يستخدمونها هناك لجر مركباتهم وحمل امتعتهم ولا دابة غيرها تقوم مقامها او تعيش في تلك الاصقاع الباردة . وكان اذا ادركهُ الليل وهو مسافر يحفر وجاراً في الثلج وينام فيهِ ملتفاً بالفراء وتنام الكلاب معهُ فيهِ لان الثلج يكون ادفأ من الهواء كثيراً اذ تكون حرارة الهواء بين الدرجة الثلاثين والستين تحت الصفر واما الثلج فحرارتهُ عند الصفر . واذا ضلَّ دليلهُ فالكلاب لا تضلُّ بل تسير الى المكان المطلوب كانها تعرف كل مداخل البلاد ومخارجها

والكلاب التي ذكر نوادرها ليست من الكلاب العادية بل هي منتقاة ومؤصلة فان بين الكلاب فرقاً شاسعاً كالبين طوائف الناس فمنها النبيه ومنها الخامل ومنها الذكي ومنها البليد وكان عندهُ كلب وكبة من اذكاها وكان الكلب من كلاب سنت برنارد المشهورة وهو اسود اللون كبير الجسم يبلغ ثقلهُ مئتي ليبرة (نحو قنطارين) والكبة من كلاب الارض الجديدة

وهي سوداء الشعر ايضاً جعدته . وافتنى كلاباً اخرى من نوعها بدل الكلاب التي يستخدمها الاسكيمو وغيرهم من سكان تلك البلاد فلم يقنَ عددها كلها كباراً وصغاراً عن عشرين الى ثلاثين كلباً لانهُ كان مضطراً ان يكثر الجولان وكانت الكلاب تجرُّ المركبات التي يجول فيها . ولم يكن ينفق شيئاً على طعامها لان البحيرات والانهار مملوءة باسماك فتصيدهُ وتأكلهُ وهو طعامها الوحيد . وكان الكلبان اللذان اشرنا اليهما آنفاً مطلقين يدخلان غرف البيت كأنهما من سكانهِ . قال وكانت الابواب تقفل بمزاليج تمّا يمنع بضغط الابهام فارشدناهما الى كيفية فتحها فصارا يفتحانها كما نفتحها نحن لكنهما كانا يختلفان اذا كان الباب يفتح نحو الداخل فان الكلب كان يفتحهُ كيفما كانت جهة فتحهِ واما الكلبة فلم تكن تستطيع فتحهُ اذا كان يفتح الى جهتها فاذا كانت في غرفة وارادت الخروج منها حاولت فتحهُ اولاً فاذا انفتح بسهولة خرجت منهُ واذا لم ينفتح بل كان مقفلاً بالمزلاج عادت الى الكلب وجرتهُ باذنهِ فيفهم مرادها ويقوم الى الباب يفتحهُ لها

وكان هذان الكلبان يحبان الاغتسال بالماء فاذا دخل الصيف وذاب الجليد عن الماء جعلا ينزلان الى بحيرة بجانب البيت ويغتسلان فيها وكان الكلب يغتسل و يصعد من الماء حالاً واما الكلبة فتقيم فيهِ مدة طويلة لانها من كلاب الارض الجديدة المعتادة الاقامة في الماء. وكان على جانب من البحيرة صخور مرتفعة وعلى جانب آخر رمال منبسطة فكان الكلب يصعد على الرمال اولاً وينتفض ثم يصعد على صخر يشرف على البحيرة ويأخذ يهيج رفيقتهُ فتدنو من الصخر وتحاول الصعود عليهِ ولكنها تعجز عن ذلك فيمدُّ رأسهُ ويمسكها بعنقها و يساعدها على الصعود واذا لم يستطع ذلك ذهب الى مكان فيهِ عيدان وعجاذيف قديمة واختار منها خشبة طويلة وامسكها بفيهِ واتى بها اليها ومدَّها لها حتى تمسك بها بفيها فيجرُّها جرًّا و يصعدها من الماء ولو كان الصخر قائماً كالجدار واذا دعوناهُ الينا قبل ان يصعدها مضت الى الشاطئ الرملي وصعدت منهُ

وكان هذا الكلب يكره الهنود سكان تلك البلاد ويمنعهم من ان يمسكوا شيئاً من امتعتنا ويفعل كل ما يغيظهم الى ان نأمرهُ بالكف عنهُ فيكف

واستخدمنا فتاة من هؤلاء الهنود مرةً فحاول اغاظتها على جاري عادتهِ لكنها لم تكترث لهُ ولا كانت تخاف منهُ كما يخاف غيرها بل كانت تزجرهُ كما تزجر اصغر الكلاب فاغتاظ منها ولكنهُ لم يستطع ان يلحق بها ضرراً . وكانت حينما دخلت في خدمتنا لا تعبأ بنظافة المطبخ فوعدتها زوجتي بزيادة راتبها اذا هي اعتنت بنظافتهِ فجعلت تغسلهُ وتنظفهُ بكل جهدها ورأى

الكلب ذلك فقال هي فرصة للاخذ بالثار منها وجعل يدوس في الوحل ويأتي ويمشي في المطبخ بعد غسلهِ او يغتسل في البحيرة ويسرع الى المطبخ وينتفض فيهِ . واذا رآها تستعد لغسلهِ ربض فيهِ وتظاهر انهُ نائم ولم ينهض مهما بذلت من الجهد. وخطر لها مرةً ان تنهضهُ بالحيلة فخرجت من المطبخ وتظاهرت بانها تطرح الطعام لسائر الكلاب فنهض وخرج فدخلت هي حالاً واوصدت الباب وراءها بالقفل فحاول فتحهُ بالمزلاج ولما لم يستطع مضى الى مكان الحطب واتى منهُ بعود كبير وجعل يضرب بهِ الباب حتى خافت ان يكسرهُ ففتحهُ لهُ فدخل والعود في فيهِ فوضعهُ في صندوق الوقود كأنهُ اتى بهِ لهذه الغاية لا لفتح الباب ولم يعد يلتفت الى اغرائها لهُ بالخروج. ولما رأت ذلك ضاقت بها الحيل فاتت اليَّ والدموع من عينيها واخبرتني بصنعهِ فقلت لابني الصغير وعمرهُ اربع سنوات اذهب واخبر هذا الكلب الخبيث ان مكانهُ ليس في المطبخ وانهُ يجب ان لا يدخلهُ بعد الآن . وكان قد سمع قصة الخادمة وكان الكلب اطوع لهُ من بناني فمضى اليهِ مع الخادمة وسرنا وراءها لنرى ماذا يفعل بالكلب فرأيناهُ دخل اليهِ واسيك باذنهِ وخاطبهُ كما يخاطب رجلاً عاقلاً وامرهُ ان يخرج من المطبخ ولا يدخلهُ بعد ذلك فاطاعهُ وخرج معهُ فقادهُ الى الكتبة واعاد توبيخهُ لهُ هناك ايضاً

ولم يكن هذا الكلب يأتي بالحطب الى المطبخ بل كان الخدم المنوط بهم جلبهُ لهُ اول مرة وقرعهُ الباب بهِ ثم وضعهُ في صندوق الوقود كأنهُ اتى بهِ لهذه الغاية مع انهُ اتى بهِ ليقرع الباب كل ذلك يدل على ذكاء شديد ومهارة في الاحتيال

وذكر الكاتب قصصاً اخرى من هذا القبيل وقال ان الكلاب كلها كانت اذا اشتدَّ البرد وتقرَّحت ارجلها من المشي على الجليد تدخل البيت وتنام على ظهورها وترفع خفافها لئلا يتسع لها احذية القراء التي كنا نحذوها بها وكانت اذا قمنا عند الفجر لنربطها بالمركبات يذهب الابيض منها ويربض بين كوم الثلج ويذهب الاسود الى خلال الانجم ويربض فيها حتى لا نرى هذا ولا ذاك واذا تعبت وهي تجرُّ الاثقال صاعدةً في مكان مرتفع تظاهرت كأن حملها ثقيل جداً ولو لم يكن ثقيلاً . وقال انهُ وجدها تختلف كثيراً في قابليتها للتعلُّم فبعضها كان يتعلم من غير ضرب ولا زجر وبعضها لا يتعلم ما لم يزجر او يضرب وكلها يسهل قيادها اذا عوملت بالحسنى

وقد اورد الكاتب ما اورد ردًّا على عالم اميركي جرَّب بعض التجارب في الحيوانات فرأى انها لا تدرك شيئاً ولا تستعمل حيلة فكان رد الكاتب ان ليس كل الحيوانات على حدٍّ سوى من هذا القبيل ولو كانت من نوع واحد واورد النوادر التي مرَّ ذكرها دليلاً على قولهِ